



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:

١ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»،

٢ قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»،

٣ قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

٤ قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزِدْتُهُ لَزَادَنِي (١٥٥).

آيات

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥].

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿وَقَضَى رَبِّيكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَإِلَى الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِيَّا بِلُغْنٍ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

الزاوي

هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، الهذلي، أبو عبد الرحمن، صاحب رسول الله ﷺ، أسلم بمكة قديماً، وهاجر الهجرة، وشهد بَدْرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ، كان يلبسه إياها إذا قام، فإذا جلس أدخلها في ذراعه، تُوفِّيَ بالمدينة سنة (٣٢هـ)، أو (٣٣هـ)١.

خاتمة

يخبر النبي ﷺ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَقْرَبُهَا إِلَيْهِ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(١) تراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/١٧٦٥)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/٩٨٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/١٩٨).

(١٥٥) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).



يسأل ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله تعالى، ليكثر من فعله، وليقدمه على سائر الأعمال والقرب، فأخبره صلى الله عليه وسلم أن أفضل ذلك أداء الصلاة في وقتها.

والصلاة عمود الإسلام، وهي أساس العلاقة بين العبد وربّه، وهي الركن الثاني من أركان الدين، ولهذا كان أدائها في وقتها الذي افترضه الله تعالى أحب عمل إليه سبحانه.

وقد امتدح الله سبحانه عباده المؤمنين بأنهم يحافظون على الصلاة ويؤدونها كما ينبغي، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ١١]؛ فوصفهم بالخشوع في الصلاة، وبالمحافظة عليها.

وتوعّد سبحانه من ضيّع الصلاة وأخرها عن وقتها بقوله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩]، قال المفسرون: إنّما أضاعوا المواقيت، ولو كان تركها كفرًا (١٥٦).

ثم سأل ابن مسعود رضي الله عنه عن أفضل الأعمال بعد أداء الصلاة على وقتها، فدلّه صلى الله عليه وسلم إلى برّ الوالدين.

وقد أعطى الله سبحانه مزيد اهتمام بالوالدين، فقرن الإحسان إليهما بعبادته وتوحيده في أكثر من موضع، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وبرّ الوالدين يكون بالإحسان إليهما، ومصاحبتيهما بالمعروف، والنصح لهما، والقيام بخدمتهما، وترك عقوقهما، قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّكَ عَنكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ

(١٥٦) « تفسير ابن كثير » (٥ / ٢٤٣).

لَهُمَا أَفِي وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وأخبر ﷺ أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر؛ قال ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً فقال - ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (١٥٧).

ثم سأل ابن مسعود رضي الله عنه عن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة على وقتها ثم بر الوالدين، فأرشده ﷺ إلى الجهاد في سبيل الله تعالى.

والجهاد: محاربة الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى وإظهار شعائر الإسلام بالنفس والمال. وهو ذروة سنام الإسلام؛ به ترفع راية الدين، وتعلو كلمة الحق إلى قيام الساعة، وبه يعز الله المؤمنين، ويذل أعداءه.

وقد امتدح الله سبحانه المجاهدين في سبيل الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١١١].

وأخبر ﷺ أنه لا عمل يساوي في الأجر الجهاد في سبيل الله تعالى؛ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تقتر، وتصوم ولا تقطر؟»، قال: ومن يستطيع ذلك؟ (١٥٨).

ثم بين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه اكتفى من رسول الله ﷺ بهذه الأعمال، ولو ظل يستزيده ويسأله لزاده ﷺ، وإنما توقف شفقة منه بالنبي ﷺ.

(١٥٧) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(١٥٨) رواه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨).

اتباعه

(١) حرص الصحابة رضي الله عنهم على اغتنام أوقاتهم في الطاعات، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أقرب العبادات وأحبها إلى الله تعالى وأكثرها أجرًا وثوابًا. وحرّي بكل مسلم أن يقتدي بهم.



(١) سأل غير واحد من الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله، وكان في كل مرة يذكر شيئًا مختلفًا لاختلاف أحوال السائلين، فيجيب كل واحد بما هو إليه أحوج وبه أليق. فعلى الدعاة والعلماء والمُرَبِّين أن يُراعوا أحوال النَّاسِ وطبائعهم في الفتاوى والوعظ.



(١) حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة في أوقاتها، حتى إنه صلى الله عليه وسلم لما حاصره المشركون يوم الخندق قال: «مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَعَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»^(١٥٩)، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان معذورًا في تأخيرها. فكيف بمن يُضَيِّع الصلاة من غير عذر شرعي؟!



(١) سأل ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عدة أسئلة في مجلس واحد، ولم يتأفف منه النبي صلى الله عليه وسلم أو يضق به ذرعا. فينبغي على الدعاة والعلماء أن يتجملوا بالصبر والحلم أمام النَّاسِ.



(١٥٩) رواه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧).

٥ (٢) برُّ الوالدين من أعظم القُرْبَاتِ عند الله تعالى . فمن كان أبواه أو أحدهما حيًّا فليغتنم ذلك ، وليتقرب إلى الله تعالى ببرهما .

٦ (٢) برُّ الوالدين مُكْفَرٌ للذنوب ؛ فعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ : «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ : لَا ، قَالَ : «هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟» قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : «فَبِرَّهَا» ^(١٦٠) .

٧ (٣) الجهادُ في سبيلِ الله تعالى أعظمُ الأعمالِ والقربِ ، لا يعدله شيءٌ من الأعمالِ ، سئل صلى الله عليه وآله وسلم : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فقال : «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» ^(١٦١) .

٨ (٣) من الجهادِ في سبيلِ الله تعالى بذلُ الجهدِ والمالِ في نشرِ دينِ الله تعالى وتبليغِ الدعوةِ إلى النَّاسِ ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ .

٩ (٤) ينبغي لكلِّ أحدٍ أن يترفق بالفقهاءِ وأهلِ العلمِ ، فلا يُكثر عليهم من السؤالِ ، ولا يشقُّ عليهم بالاستفساراتِ . بل يختصرُ ويراعي أوقاتَ تعبهمِ وفطورهمِ ونحو ذلك .



(١٦٠) رواه الترمذي (١٩٠٤) .

(١٦١) رواه البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) .